مكة المكرمة
إعجاز موقعها، وحرمتها ، ومنزلتها ، وتوسعتها

سليمان بن صالح القرعاوي
قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية - جامعة الملك فيصل
الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

التعرف على مكة المكرمة واجب حتمي لأسباب كثيرة تتصل بفضلها ومكانتها عند الله تعالى، وحكمة الله بالغة في أن تكون مكة المكرمة بلد الله الحرام، وأن يكون بها بيت الله الحرام، وأن تكون الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وفي هذا البحث تم تقديم عرض موجز عن مكة المكرمة من حيث إعجاز موقعها ، وحرمتها ، ومنزلتها ، وفضلها على سائر البلاد ، مع التعريج على المراحل التي مرت بها توسعة المسجد الحرام، بدءاً وانتهاءً بما قدمته المملكة العربية السعودية من جهود عظيمة في التوسعة ، وما بذلته من جهود في تطوير المشاعر المقدسة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الرحمة والهدى، محمد بن عبدالله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين، وبعد:

فإذا كان من واجب كل مسلم أن يتعرف على مدائن المعمورة ـ فإن التعرف على مكة المكرمة واجب ؛ لأسباب كثيرة تتصل بفضلها ومكانتها وحرمتها عند الله - عز وعلا ـ وعند أنبيائه، وعند المؤمنين الموحدين، والمسلمين في كل بقاع الأرض.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]

وعن عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزْوَرة[٢] ، فقال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"[٣]

إن حكمة الله بالغة في أن تكون مكة المكرمة بلد الله الحرام، وأن يكون بها بيت الله الحرام، وأن تكون الكعبة الشريفة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وزاد الله من شرف مكة بأن جعل الحج إلى مكة فرضًا على المسلم القادر، قال سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[٤] وجعل الحج ركنًا من أركان الإسلام الخمسة، قال رسول الله ﷺ :"بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" [٥]

ويضاف إلى تلك الفضائل فضل آخر يتمثل في ذلك الاكتشاف الذي يمثل إعجازًا علميًا، حيث ثبت بالأدلة والبراهين العلمية أن الكعبة الشريفة هي مركز اليابسة مكاناً وزماناً.

إن فضل مكة عظيم، فهي رمز لوحدة محسوسة للمسلمين حين يتوجهون إليها في كل صلواتهم، ورمز لوحدة روحية وثقافية وعقلية تقوم على أساس الإيمان بوجود الله خالق الكون، وبوحدانيته، وبالرسول محمد ﷺ، وبالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وفضائل مكة كثيرة، فصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في غيره.

وقد لقيت مكة، والمسجد الحرام عنايةً كبيرةً من المسلمين عبر كل العصور، ولكنَّ الرعاية الكبرى تحققت عندما قامت الدولة السعودية منذ مائة عام حيث بدأت العناية والرعاية والتوسعات المتتالية من عهد المؤسس الملك عبد العزيز، ثم الملك سعود، ثم الملك فيصل ثم الملك خالد (رحمهم الله جميعاً) ثم زادت في عهد الملك فهد، الذي أبى إلا أن يتخذ من لقب خادم الحرمين الشريفين لقباً يتشرف به، ويحرص عليه، جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم وجزاهم خيرًا عن الإسلام والمسلمين.

وهذا بحث موجز يتناول مكة المكرمة: إعجاز موقعها، ومنزلتها، وحرمتها، وفضلها على سائر البلاد، كما يتناول توسعة المسجد الحرام قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، وبعد تأسيسها.

ويتناول كذلك جهود المملكة في تعمير وتطوير المشاعر المقدسة، وهي جهود تفوق الخيال، وبها تتحقق آمال المؤمنين.

والله أسأل التوفيق والسداد.

خريطة مكة المكرمة



إعجاز الموقع :

تقع مدينة مكة المكرمة على السفوح الدنيا لجبال السروات، فهي تمثل نقطة التقاء بين تهامة وجبال السروات، وبذلك فهي تقع في غرب شبه الجزيرة العربية" غرب المملكة العربية السعودية" على بعد ٧٥ كم خمسة وسبعين كيلاً من مدينة جدة.

الموقع الفلكي: تقع مكة المكرمة على دائرة عرض ٩١، ٥٢، ١٢ شمالاً، وخط طول ٤٦، ٤٩، ٣٩ شرقًا، وترتفع على سطح الأرض بمقدار ٣٠٠ متر عن سطح البحر من الغرب إلى الشرق مابين ٢٥٠ متراً مائتين وخمسين متراً إلى ٣٥٠ متراً ثلاثمائة وخمسين متراً.

تكونت المنطقة عموماً بما فيها مكة المكرمة ضمن تشكيلات الدرع العربي المكون من الصخور القديمة، التي تمثلها معظم جبال مكة المكرمة. أما الأودية فتغطيها ترسبات الحصى والرمل، ومعظم هذه الأودية التي تتشكل منها مكة المكرمة تتبع في تكوينها حركات الصدوع والانكسارات التي مرت بالدرع العربي خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة.(٧)

وبوجه عام فإن البناء الجيولوجي لمكة المكرمة يعود إلى أزمنة جيولوجية قديمة فصخورها تعود إلى التكوينات الأركية التى تتمتع بمقاومة جيدة للعوامل الجيوموفلجية الظاهرية والباطنية.

وتقع مكة المكرمة ضمن المنطقة الانتقالية بين تأثيرات مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي ويؤثر البحر الأحمر فيها بنسبة ضئيلة جدًا.

وهي تقع ضمن المنطقة المدارية الشمالية؛ لذا فإن درجة حرارتها ترتفع في الصيف، ومناخها دافئ في الشتاء، وأمطارها قليلة وغير منتظمة، ورياحها في الشتاء شمالية غربية، وفى الصيف شمالية شرقية جافة.(٨)

وقد اقترنت وسطية الأمة الإسلامية من حيث المنهج الرباني بموقع مكة الجغرافي، أي: بوسطية المكان، والزمان، وهذه الوسطية الأخيرة لم يستدل عليها العلماء بصورة واضحة إلا في مرحلة قريبة، واعتبروا ذلك من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من حيث تضمن القرآن لمعانٍ كان من الصعب على من قبلنا معرفة أسرارها وما تتضمنه من إعجاز، وقد جاءت المكتشفات العلمية الحديثة ؛ لتؤكد الحقائق التي تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن

يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩)

ويقول تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ (١٠)

والشطر: نصف الشيء، وشطر الشيء ناحيته، والشطر: النحو.

واللافت للنظر أن وسطية الأمة اقترنت بالقبلة التي يتوجه إليها المسلمون في كل أنحاء العالم شماله وجنوبه وشرقه وغربه.

ولم يتنبه الباحثون المحدثون إلى أن وسطية مكة للكرة الأرضية قد ورد ما يقررها من الأحاديث النبوية في تفسير قوله تعالى: : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ (١١)

فقد أخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس – رضي الله عنهما قال:" قال رسول اللهﷺ أول بقعة وضعت في الأرض موضع البيت، ثم مهدت منها الأرض، وأن أول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال" (١٢)

كما أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله (ص) إن الكعبة خلقت قبل الأرض بألفي سنة وهى من الأرض، إنما كانت حشفة على الماء عليها ملكان من الملائكة يسبحان، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها، فجعلها وسط الأرض. (١٣)

وأخرج ابن جرير عن السدى قال: قال رسول الله (ص) أما أول بيت فإنه كانت الأرض ماء زبدة على الأرض، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها، فهو أول بيت وضع في الأرض. (١٤)

ويحسن بنا في هذا المقام أن نورد قول ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قال: (والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله – تعالى ذكره – أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفعا القواعد من البيت الحرام، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة، وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء مما أنشأها الله من زبد الماء، وجائز أن يكون كان ياقوتة أو دُرةً أهبطا من السماء، وجائز أن يكون كان آدم بناه، ثم انهدم، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، ولا علم عندنا بأي ذلك كان ؛ لأن حقيقة ذلك لاتدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة، فيجب التسليم لها ، ولا هو إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلناه) [١٥].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله: (مَكَانَ ٱلْبَيْتِ) فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم، وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة، وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوماً، أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل، وقد قررنا أنها لاتصدق ولا تكذب، فلا يحتج بها، فأما إن ردها الحق فهي مردودة) [١٦] وقال: في موضع آخر (ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم، ولا يصح ذلك، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً

وأول من أسسه، وكانت بقعته قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٧) وأخيراً، قال صاحب كتاب فضائل مكة الواردة بالسنُّة "قلت : كلام الحافظ ابن كثير وجيه، إلا أن قوله إن مكان البيت معظم عند الأنبياء من لدن آدم إلى زمان إبراهيم، يَرِدُ عليه ما أورده بنفسه على بنائه قبل إبراهيم ، فيقال : إن كان مصدر ذلك أخبار بني إسرائيل فلا عبرة بها، وإن كان ورد ذلك عن المعصوم ﷺ فأين وقع ذلك ؟ وما مدى صحته؟ وأما كلام الإمام الطبري – السابق – وتسويته بين الاحتمالات فغير مناسب؛ لأنها غير متكافئة في ورودها، ولا عبرة بما لم يصح عن رسول الله ﷺ ولا بما نقل عن بني إسرائيل، وظاهر القرآن كما تقدم – يدل على أن الباني هو إبراهيم وابنه عليهما السلام وأشار تقي الدين الفاسي إلى عدم ثبوت بناء الملائكة وآدم للكعبة، وأنه على فرض صحة ذلك فالمراد به التأسيس. وأما الأحاديث المذكورة في هذا المبحث فتنقسم إلى قسمين: أحاديث مرفوعة وأخرى موقوفة، وقد ذكرت الموقوفة لاحتمال رفعها حكماً، وذلك لأنها تتعلق بالأخبار، وإن كان بعضها مما يمكن أن يكون مستنبطاً من القرآن، وصح من المرفوع حديث واحد، وهو حديث أبي ذر، وفيه أن أول مسجد وضع في الأرض هوالمسجد الحرام، وهذا مستلزم لبناء البيت قبلته، وأما الآثار فصح منها أثران: أثر علي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ .... ﴾ الآية. ويفهم من هذا أن أول من بناه هو إبراهيم عليه السلام لأنه استدل بوجود الأمم قبل بنائه ولازم ذلك أن يكون لهم بناء.

الأثر الثاني: أثر ابن عباس المفسر لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ .... ﴾ (١٨) ويمكن أن يكون ذلك استنباطاً منه رضي الله عنه فكأن القواعد كانت موجودة فرفعها إبراهيم وإسماعيل حتى تم البناء. (١٩)

وقد توصل العلماء المعاصرون إلى حقيقة أن الكعبة تعد مركز العالم مما يؤكد الإعجاز القرآني حيث تيسر للدكتور حسين كمال اكتشاف أن الكعبة مركز العالم فقال: فكرت في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية، أجعل فيها مكة مركزًا للإسقاط ويكون الهدف من ذلك بيان اتجاهات القبلة للصلاة على هذه الخريطة...

ومما يجدر ذكره أنني بعدما وضعت الخطوط الأولى في هذا البحث ورسمت عليها القارات الأرضية - وجدت أن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة - توزيعًا منتظمًا وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركزًا للأرض اليابسة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾ (٢٠)

وقد توصل الدكتور زغلول النجار إلى أن مكة تتوسط اليابسة زمانًا - مثلما تتوسطها مكانًا ؛ حيث أن خط طول مكة يتوسط الزمن بالنسبة لخطوط الطول، وحاول تفسير شعيرة الطواف حول البيت الحرام حيث يطوف المسلم سبعة أشواط بدءًا من الحجر الأسود وانتهاءً به، وهذا الطواف يتم في عكس اتجاه عقارب الساعة، وهو اتجاه الدوران الذي تتم به حركة الكون من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، فالإلكترون يدور حول نفسه، ثم يدور في مدار حول نواة الذرة في نفس اتجاه الطواف عكس عقارب الساعة.

إن المعروف لنا أن كل دقيق في الكون يدور حول ما هو أكبر منه، فالإلكترون يدور حول نفسه، والأرض تدور حول الشمس، والشمس أكبر من الأرض، والمجموعة الشمسية تدور حول مركز المجرة، والمجرة تدور حول مركز التجمع المجرّي، وهو أكبر بملايين المرات من المجرة، ولكن المطاف حوله واحد، هو رمز وحدانية الله،

ورمز عبودية كافة الخلق لهذا الخالق.[٢١]

فطواف المسلم حول الكعبة يسير في نفس اتجاه دوران وطواف كل عناصر الكون حول مراكزها التي تنتمي إليها ، وكأننا بالمسلم وهو يطوف بالكعبة يؤكد حقيقة الطواف الكونية ، فالكعبة مركز العالم مكانًا وزمانًا وهي مركز المسلمين ديناً وقبلة ، وارتباط المسلمين بمركزهم يعني توحدًا وتوحيدًا ، يوجد في الشعور ، والعقل والجسد ، فالوحدة الدينية هي الوحدة الكبرى التي تنتظم البشر جميعًا ، تتجاوز المكان والزمان والجنس واللون والوطن...

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٢٢]

والطواف شعيرة من شعائر الحج والعمرة، يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾[٢٣]

ويقول الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٢٤] فالبيت مثابة للناس وأمن، والوسطية الزمانية والمكانية والتشريعية أساس ؛ لأن يكون البيت مثابة وأمنًا، ومركزًا لطواف المسلمين حول الكعبة، وطوافاً أكبر للأرض حول الشمس إلى ما نهاية.

مَنْزِلَةُ مَكَّةَ وفضلها على سائر البلاد

لا توجد مدينة على وجه الأرض أعظم قدرًا ، وأعلى منزلة ، وأكثر فضلاً ، وأسمى قداسة ـ من مكة المكرمة ، قبلة المسلمين في كل صلاة.

فهي بلد الله الحرام، والبلد الأمين، وبها الكعبة المشرفة، وأول بيت وضع للناس جميعًا، وإليها يحج المسلمون كل عام فرضًا وركنًا من أركان الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[٢٥]

ومن فضل مكة على سائر البلاد أن فيها أول بيت وضع للناس، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢٦]

كما قال تعالى مقسماً بالبلد الأمين مكة المكرمة: ﴿ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٢٧] وقوله سبحانه: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[٢٨] وقوله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٢٩]

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام).[٣٠]

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر – رضي الله عنهما "أن رسول اللهﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام".[٣١]

وأخرج الطيالسي وأحمد والبيهقي وابن حبان عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما - قال: قال رسول اللهﷺ (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة

في مسجدي هذا"، قيل لعطاء هذا الفضل الذي يذكر فى المسجد الحرام وحده أو في الحرم؟ قال: لا بل في الحرم، فإن الحرم كله مسجد). (٣٢)

وأخرج أحمد وابن ماجه عن جابر - رضي الله عنه - : " أن رسول اللهﷺ قال: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة" (٣٣)

عن ابن عمرﷺ قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك، فقال: "إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت" فقالا: أخبرنا يا رسول الله!

فقال الثقفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال: " جئتني تسألني عن مخرجك من بيتكَ تؤُّم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك ومالك فيه، مع الإفاضة".

فقال والذي بعثك بالحق! لَعَنْ هذا جئت أسألك.

قال: " فإنك إذا خرجت من بيتك تؤُّم البيت الحرام؛ لا تضع ناقتك خفاً، ولا ترفعه؛ إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة.

وأما ركعتاك بعد الطواف؛ كعتق رقبة من بنى إسماعيل.

وأما طوافك بالصفا والمروة؛ كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة؛ فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة يقول عبادي جاؤنى شعثًا من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر؛ لغفرتها، أفيضوا عبادي! مغفورًا لكم، ولمن شفعتم له.

وأما رميك الجمار؛ فلك بكل حصاةٍ رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحرك؛ فمدخور لك عند ربك.

وأما حلاقك رأسك؛ فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، وتمحى عنك بها خطيئة.

وأما طوافك بالبيت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل؛ فقد غفر لك ما مضى" (٣٤)

واخرج ابن المنذر والأزرقي عن ابن جريج قال: " بلغنا أن اليهود قالت بيت المقدس أعظم من الكعبة ؛ لأنها مهاجر الأنبياء، ولأنه في الأرض المقدسة، فقال المسلمون: بل الكعبة أعظم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فنزلت"إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا" إلى قوله: "فيه آيات بينات مقام إبراهيم" وليس ذلك في بيت المقدس " ومن دخله كان آمنًا" وليس ذلك في بيت المقدس " ولله على الناس حج البيت " وليس ذلك لبيت المقدس. (٣٥)

واخرج الأزرقي والجندي عن عائشة – رضي الله عنهما - قالت:" ما رأيت السماء في موضع أقرب منها إلى الأرض من مكة. (٣٦)

وأخرج الأزرقي عن عطاء بن كثير رفعه إلى النبي ﷺ " المقام بمكة سعادة، وخروج منها شقوة". (٣٧)

وأخرج الأزرقي والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه- "أن رسول اللهﷺ قال:" هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونًا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر أو غنيمة" (٣٨).

وأخرج البيهقي في الشعب عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللهﷺ : الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة الجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد

الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف رمضان فيما سواه إلا البيت الحرام". (٣٩)

وأخرج البزار وابن خزيمة والطبراني والبيهقي في الشعب عن أبى الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللهﷺ : "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفى مسجدي ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة". (٤٠)

وأخرج ابن ماجه عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللهﷺ : "صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة". (٤١)

وأخرج البزار عن عائشة – رضي الله عنها - قالت: " قال رسول اللهﷺ : أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار، وتشد إليه الرواحل، المسجد الحرام، ومسجدي هذا ، وصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام". (٤٢)

فضل مكة على سائر البلاد:

فضّل الله سبحانه وتعالى مكة المكرمة على سائر البلاد، وأنزل ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عدة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٤٣) فهو بمثابة الأمن لكل خائف. وليس هذا لمكان آخر في ا لأرض، وقد بقي هكذا منذ بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وحتى في جاهلية العرب – وفي الفترة التي انحرفوا فيها عن دين إبراهيم، وعن التوحيد الخالص الذي يمثله هذا الدين – حتى في هذه الفترة – بقيت حرمة هذا البيت سارية . وكان الرجل يقتل غريمه . ويدخل الحرم فيلقاه

ابن المقتول فلا يهيجه أو يتعرض له. (٤٤)

والله سبحانه وتعالى يمتن على أمة العرب بهذا بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (٤٥)

قال القرطبي: (قال عبدالرحمن بن زيد: هي مكة وهم قريش أمَنهم الله تعالى فيها. ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً. والخطف الأخذ بسرعة... فأذكرهم الله عز وجل هذه النعمة ؛ ليذعنوا له بالطاعة أي جعلتُ لهم حرماً آمناً أمنوا فيه من السبي والغارة والقتل، وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر، فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر. فهذا تعجب من تناقض أحوالهم. (٤٦)

أمَّا الطاهر بن عاشور فقال في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ (٤٧) ومعنى الآية تذكير قريش بنعمة الله عليهم إذْ يسَّر لهم ما لم يتأت لغيرهم من العرب من الأمن من عدوان المعتدين وغارات المغيرين في السنة كلها بما يَسَّر لهم من بناء الكعبة وشرعة الحج، وأن جعلهم عُمَّارَ المسجد الحرام وجعل لهم مهابة وحرمة في نفوس العرب كلهم في الأشهر الحرم وفي غيرها.

وعند القبائل التي تحرِّم الأشهر الحرم والقبائل التي لا تحرّمها مثل طيئ وقضاعة وخثعم، فتيسرت لهم الأسفار في بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها ، ولاذ بهم أصحاب الحاجات يسافرون معهم، وأصحاب التجارات يحمِّلونهم سلعهم ، وصارت مكة وسطاً تُجلب إليها السلع من جميع البلاد العربية، فتوزع إلى طالبيها في بقية البلاد، فاستغنى أهل مكة بالتجارة، إذ لم يكونوا أهل زرع ولا ضرع، إذ كانوا بواد غير ذي زرع وكانوا يجلبون أقواتهم، فيجلبون من بلاد اليمن الحبوب من برٍّ وشعير وذُرة وزبيب

وأديم وثياب والسيوف اليمانية ، ومن بلاد الشام الحبوب والتمر والزيت والزبيب والثياب والسيوف المشرقية ، زيادة على ما جعل لهم مع معظم العرب من الأشهر الحرم، وما أقيم لهم من مواسم الحج وأسواقه كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾. (٤٨)

فإذاً هذا هو البيت الذي اختاره الله للمسلمين قبلة ، هو بيت الله الذي جعل له هذه الكرامة وهو أول بيت أقيم في الأرض للعبادة ، وهو بيت أبيهم إبراهيم عليه السلام . وفيه شواهد على بناء إبراهيم عليه السلام له ، والإسلام هو ملة إبراهيم حنيفاً . قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٤٩)

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (٥٠) وبيته هو أولى بيت بأن يتجه إليه المسلمون، وهو بمثابة الأمان في الأرض، وفيه هدى للناس بما أنه مثابة هذا الدين.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٥١)

وأحاديث الرسول ﷺ في تفضيل مكة أكثر من أن تحصى أو تعد ، من ذلك أن الرسولﷺ عندما خرج مهاجراً إلى المدينة قال وهو مستقبل الكعبة: (اللهم إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليَّ ، وأنك أحب أرض الله إلى الله عز وجل، وإنك خير بقعة على وجه الأرض، وأحبها إلى الله تعالى، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) (٥٢)

وما على وجه الأرض بلدة وفد إليها جميع النبيين والملائكة والمرسلين أجمعين وصالحي عباد الله من أهل السموات والأرض والجن إلا مكة.

روى مسلم واللفظ له وابن ماجه وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق، فقال: " أي واد هذا ؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: "كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية" ثم أتى على ثنية هَرْش، فقال: "أي ثنية هذه؟" قالوا: ثنية هرش، قال:" كأني أنظر إلى يونس أبن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جبَّة من صوف، خطام ناقته خُلُبة وهو يلبي". (٥٣)

ومن فضلها قول النبي ﷺ : "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" (٥٤)

وقال: ﷺ "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة في غيره". (٥٥)

وقال الحسن البصري – رحمه الله – (صوم يوم بمكة بمائة ألف، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف. (٥٦)

وقال أيضاً: (وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلا مكة: أولها جوف الكعبة الدعاء فيها مستجاب، والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب، والدعاء عند الحجر مستجاب، والدعاء خلف زمزم مستجاب، والدعاء عند الملتزم مستجاب، والدعاء عند باب بئر زمزم مستجاب، والدعاء على الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الركن والمقام مستجاب، والدعاء بمنى مستجاب، والدعاء بعرفات مستجاب، والدعاء في المشعر مستجاب. (٥٧)

هذا غيض من فيض في فضائل مكة شرفها الله تعالى.

الحدود الشرعية لحرم مكة والمشاعر المقدسة

يقترن تحديد المشاعر المقدسة بالحج والعمرة، والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة قال ﷺ :" بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" [٥٨] وقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥٩]

ويقترن الحج بالعمرة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [٦٠]

ويخير المسلم أن يحرم بما شاء من الأنساك الثلاثة وهي التمتع والقران والإفراد، فالتمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ويفرغ منها، ثم يحرم بالحج في عامه، والقران أن يحرم بالعمرة والحج معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل شروعه في طوافها فينوي العمرة والحج من الميقات أو قبل الشروع في طواف العمرة، ويطوف لهما ويسعى والإفراد أن يحرم بالحج فقط من الميقات، ويبقى على إحرامه حتى يؤدي أعمال الحج. [٦١]

وهناك حدود للحرم المكي، وحدود للمشاعر المقدسة، وأول من نصب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام، فقد نصب إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم، يريه جبريل عليه السلام – ثم لم تحرك – حتى كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فبعث أربعة من قريش فجددوها. [٦٢]

وقد نصبت أعلام على حدوده في الطرق الرئيسية المؤدية إلى مكة وهي:

١- في طريق جدة من الغرب: الشميسي (الحديبية) وتبعد اثنين وعشرين كيلو متراً.

٢- الجنوب: إضاءة لبن في طريق اليمن الآتي من تهامة، وتبعد اثني عشر كيلو متراً.

٣- الشرق : ضفة وادي عرنه الغربية، وتبعد خمسة عشر كيلو متراً.

٤- الشمال الشرقي : طريق الجعرانة، بالقرب من قرية شرائع المجاهدين، وتبعد ستة عشر كيلو.

٥- الشمال: حَرُة التنعيم، ويبعد سبعة كيلوا مترات.[٦٣]

ومواقيت الإحرام المكانية خمسة هي:

١- ذو الحليفة، لأهل المدينة.

٢- الجحفة، لأهل الشام، ويحرم الناس اليوم من رابغ.

٣- قرن المنازل، ويسمى اليوم السيل لأهل نجد.

٤- يلملم، لأهل اليمن.

٥- ذات عرق، لأهل العراق.

وقد أصبحت المداخل أكثر من ذلك وهي:

- مدخل مكة من طريق الحديبية.
- ومدخلها من طريق جدة السريع.
- ومدخلها من طريق الليث اليمن الجديد.
- ومدخلها من طريق اليمن القديم.
- ومدخلها من طريق الطائف الجديد قرب عارض الحصن.
- ومدخلها من عرفات.
- ومدخلها من طريق نجد والعراق على ثنية خل.
- ومدخلها من الجعرانة ريع النقواء.
- ومدخلها من التنعيم" [٦٤]

ومن خلال العلمية الميدانية لهذه المواقع وطرقها في القديم والحديث يحدد بعدها من جدار المسجد الحرام في الجهة التي يقع فيها طريق المدخل (أعلام الحرم)، ومقاسات بعدها بالمتر.

"ثم بعد ذلك قمت بدراسة مداخل مكة المكرمة من واقع الطرق الموجودة الآن قديمها وحديثها:

فأما عن قديم الطرق فهي كما يلي:

١- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة التنعيم بلغت (٦,١٥٠كلم) ستة كيلو مترات ومائة وخمسين متراً.

٢- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة ثنية النقوي الموصلة للجعرانة (١٨كلم) ثمانية عشر كيلو متراً.

٣- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة ثنية خل (أو جبل المقطع) طريق الطائف نجد العراق السريع (١٢,٨٥٠كلم) اثنا عشر كيلو متراً وثمانمائة وخمسون متراً.

٤- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام عرنة طريق الطائف القديم الملغي الآن (١٥,٤٠٠كلم) خمسة عشر كيلو متراً وأربعمائة متر.

٥- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق اليمن القديم (١٧كلم) سبعة عشر كيلو متراً.

٦- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام الحديبية (الشميسي) على طريق جدة القديم (٢٠كلم) عشرون كيلو متراً.

وأما الطرق الحديثة لمكة المكرمة فهي:

٧- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق جدة الذي يخترق حنك الغراب " على يسار الذاهب إلى جدة من الطريق القديم" (٢٢كلم) اثنان وعشرون كيلو متراً.

٨- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق الليث اليمن الجديد (١٧كلم) سبعة عشر كيلو متراً.

٩- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق الطائف – الهدى الجديد المار قرب قرن العابدية (١٥,٥كلم) خمسة عشر كيلو متراً ونصف الكيلو متر. (٦٥)

والمشاعر المقدسة هي:

١- منى:

وتبلغ مساحتها ٨,١٦ ثمانية كيلو مترات وستة عشر متراً مربعاً، ومساحة الوادي أربعة كيلو مترات، والباقي سفوح جبلية.

وتقع شرق وجنوب شرق المسجد الحرام.

وذكر الفاكهي أن حد منى رأس العقبة مما يلي منى إلى المنحر. (٦٦)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله :" ولا يبيت أحد من الحاج إلاَّ بمنى، ومنى ما بين العقبة، وليست العقبة من منى إلى بطن محسر، وليس بطن محسر من منى، وسواء سهل ذلك أو جبله فيما أقبل على منى، فأمَّا ما أدبر من الجبال فليس من منى"(٦٧)

وجاء في قرار اللجنة التي شكلت سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين للهجرة من العلماء والمتخصصين لتحديد حدود منى ما يأتي:

١- تبين للجنة أن طول منى من جهة مكة المكرمة هو جمرة العقبة. أما حدُّها من جهة مزدلفة – ضفة وادي محسر مما يلي منى ؛ ليكون وادي محسر فاصلاً بين منى ومزدلفة.

٢- كما تبين أن عرض منى ما بين الجبلين الكبيرين بامتدادهما من العقبة إلى وادي محسر؛ ليكون ما بينهما من الشعاب والهضاب، وما لهما من السفوح والوحدة الموالية لمنى – كلها من مشعر منى ؛ وليكون كل ما أدخله وادي محسر – ابتداءً من روافده في أصل جبل تبير، حتى يصل الى حد منى في أصل جبلها الجنوبي بامتداد ضفته الغربية كل ذلك داخل في حدود منى ". (٦٨)

المزدلفة:

تحددت حدودها الحديثة بموجب لجنة تشكلت من العلماء المتخصصين، وقد انتهت اللجنة إلى ما يأتي:

١- ظهر أن مبتدأ حد مزدلفة مما يلي منى هو ضفة وادي محسر الشرعية ؛ ليكون الوادي فاصلاً بينها وبين منى، فإذا وصل الوادي المذكور إلى جبل منى الجنوبي، وتغير اتجاهه من الجنوب إلى الشرق جاعلاً الجبل المذكور يمينه ومزدلفة يساره ثم فاض مع سفح الجبل المسمى – دقم الوبر – حيث يعتدل اتجاهه إلى الجنوب – كما كان، فظهر أن ضفة الوادي الشمالية – هي حد مزدلفة من هذه الجهة، كما ظهر أن حد مزدلفة مما يلي عرفات هو مفيض المأزمين ... وحدها من طريق ضب – ما يسامت مفيض المأزمين.

وحدها العرضي – ما بين الجبلين الكبيرين هو مزدلفة. (٦٩)

عرفات:

حدودها كما في قول الشافعي – رحمه الله – : "وعرفة ما جاوز وادي عُرنة الذي فيه المسجد، وليس المسجد ولا وادي عرنه من عرفة إلى الجبال القابلة على عرفة كلها، مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحضن، فإذا جاوزت ذلك فليست من عرفة" (٧٠)

وحدودها الحالية: تحددت حدود عرفة في عصرنا بموجب لجنة من العلماء المتخصصين، فاعتمدت ما قاله الشافعي والعلماء الثقات وهي كالتالي:

١- من الغرب وادي عُرنَة.

٢- من الشمال: جبل سعد، ثم وادي وصيق إلى أن يلتقي بوادي عرنة.

٣- من الشرق جبال عرفة المطيفة بسهل عرفات التي تمتد من جبل سعد إلى طريق الطائف القديم.

٤- من الجنوب الخط المستقيم الممتد بين قرن جبل نمرة النادر على بطن عُرَنة إلى حوائط ابن عامر، إلى طريق الطائف القديم. (٧١)

الآثار الشرعية المترتبة على تحديد المقصود من المسجد الحرام والمشاعر:

تتحدد الآثار المترتبة على تحدد المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وفقاً لأركان الحج والعمرة.

فأركان الحج أربعة هي: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة.

وأركان العمرة ثلاثة هي: الإحرام، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة. فكل ركن من هذه الأركان يصح إذا تم في حدود المكان المحدد للمناسك، ولا يصح إذا تم قبل المكان المحدد أو بعده، ومعنى هذا أن الحج الصحيح من شروطه أن تؤدى مناسكه في المكان المحدد لذلك.

حُرْمةُ مكة :

تسمى مكة البلد الحرام، وهي أحب البلاد إلى الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٧٢)

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال " إن أحب البلاد إلى الله البلد الحرام"(٧٣) . استشعر العرب في جاهليتهم مكانة البيت الحرام وحرمته فكان " الناس يغيرون ويقتتلون حول مكة، وهي آمنة من كل ذلك، يلقى الرجل بها قاتل أبيه فلا يهيجه ؛ لأن الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها أمناً للناس، والطير، والوحوش، وخصص الشرع من ذلك الخمس الفواسق ..." (٧٤)

"يقتلن في الحل والحرم: الحية ، و الغراب الأبقع، والفارة، والكلب العقور، والحديا" [٧٥]

أعاد الرسول ﷺ لمكة سابق حرمتها ، وكان هذا أول اهتمامه ﷺ بعد تحطيم الأوثان " في الفتح الأعظم فتح مكة ، الذي أعز الله به دينه ورسوله ، وجنده ، وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته من أيدي الكفار والمشركين .... فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال: (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقالوا : إن الله آذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما حلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب) [٧٦]

وفي رواية لمسلم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما :

(إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط إلاَّ من عَرفَّها ، ولا يختلى خلاها).

فقال العباس : يارسول الله إلا الإذخر ؛ فإنه لقينهم ، ولبيوتهم.

فقال: (إلا الإذخر) [٧٧]

هكذا تظل مكة المكرمة بحدودها وأعلامها البلد الحرام الآمن إلى يوم القيامة بإذن الله ، فهي محرمة بتحريم الله جل وعلا يوم خلق الله السموات والأرض.

والتحريم شامل للقتال فيها ، وقطع أشجارها التي ليس للآدميين فيها سبب الغرس ، وكذلك تنفير حيوانها لإخراجه منها واصطياده [٧٨].

أما ما قيل عن تضاعف السيئات بمكة :

فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات وممن قال ذلك ابن عباس وابن مسعود وأحمد بن حنبل ومجاهد ، وغيرهم، لتعظيم البلد.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن مقامه بغير مكة فقال: " مالي ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات" (٧٩)

فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم، ثم قيل تضعيفها كمضاعفة الحسنات بالحرم . وقيل بل كخارجه.

ومن أخذ بالعمومات لم يحكم بالمضاعفة.قال تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٨٠)

وقال النبي ﷺ: (من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) (٨١) وقال بعض السلف لابنه: "يابني إياك والمعصية فإن عصيت ولابد ، فلتكن في مواضع الفجور ، لا في مواضع الأجور؛ لئلا يضاعف عليه الوزر ، أو تعجل العقوبة" وحرر بعض المتأخرين النزاع في هذه المسألة فقال: القائل بالمضاعفة: أراد مضاعفة مقدارها أي غلظها لا كميتها في العدد ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن السيئات تتفاوت ، فالسيئة في حرم الله وبلاده على بساط أكبر وأعظم منها في طرف من أطراف البلاد ، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه.

ويعاقب على الهمَّ فيها بالسيئات ، وإن لم يفعلها. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٨٢) ولهذا عدى فعل الإرادة بالباء. ولا يقال: أردت بكذا لما

ضمنه معنى يهم، فإنه يقال: هممت بكذا وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها.

كل ذلك تعظيماً لحرمته، وكذلك فعل الله سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل. أهلكهم قبل الوصول إلى بيته. وقال أحمد بن حنبل: "لو أن رجلاً همَّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم ثم قرأ الآية. وقال ابن مسعود: "ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمَّ قبل الفعل إلا مكة وتلا هذه الآية. (٨٣)

توسعة المسجد الحرام قبل تأسيس المملكة وبعد تأسيسها:

كانت عمارة البيت ورعاية الحجيج وأمنهم أهم شغل للملك **عبد العزيز** (رحمه الله) منذ دخوله مكة، والعمارة في منهج النقل والعقل تنتظم عمارة المكان تشييدا وحفظاً وتجميلاً وتنظيفاً وإمداده بما تتطلبه حاجة سكانه وزواره من ماء وشراب، وكذلك تسهيل السبل لزيارته بعد إعداده لاستقبال الزوار وتوفير أسباب المعيشة فيه.

ولكن العمارة عند الملك عبدالعزيز هي عمارة الإنسان دينًا وخلقًا والتزامًا بما أمر الله وبعدًا عما نهى عنه، ولهذا كان أول ما فعل عند دخوله مكة أن أصدر أمرًا بتعيين هيئة تقوم بمهمة الأمر بمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تكون أعمالها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع منها تقره وما خالفه تزيله، وأن تمنع البذاءة اللسانية التي تعودها السوقة.

وأن تحث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة، وأن تراقب المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم بها، وحضور الناس عليها وغير ذلك من دواعي الإصلاح، وأن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة وإذا أعياها أمر من الأمور رفعت فيه إلى أولي الأمر لإجرائه.

وعين رئيسًا للهيئة الشيخ عبد الله الشيبي ونائبًا له السيد حسين نائب الحرم وكاتب الهيئة الشيخ عباس عبد الجبار، وأعضاء من أهل مكة ومن أهل نجد، وتعين مقر الهيئة بمدرسة السيد أحمد عيد بباب الصفا.

وفى عام ألف وثلاثمائة وستة وأربعين للهجرة أصدر الأمر السامي بالمصادقة على نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. تنشأ هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بمكة وبقية الملحقات.
٢. يكون عدد أعضاء الهيئات مناسبًا ويجتمعون مرتين في الأسبوع.
٣. يشترط في أعضاء هيئات الأمر بالمعروف أن يكونوا من أرباب العلم الشرعي، ومن ذوي الأخلاق الطيبة والصفات الحسنة.
٤. يعين لكل هيئة عدد من الجنود، متصفين بالتقوى وحسن المعاملة.
٥. الأمور التي تنظر فيها الهيئة:

- تنبيه الناس إلى أوقات الصلاة وحث المتخلفين عنها بالحسنى.
- مراقبة المحلات التي تجرى فيها أمور مخلة بالآداب والشرع.
- دعوة الناس بالحسنى إلى ترك المعاصي والمخازي، والبدع والخرافات.
- منع البدع في المآتم والأفراح، ومنع العوام عن السباب والشتائم.
- الأخذ بيد الضعيف والرفق بالأرامل والعجزة، والرفق بالحيوان.
- تقوم الهيئة بإزالة كل ما هو مجمع عليه من المنكر، وترجع فيما اختلف فيه إلى هيئة مراقبة القضاء.
- يشدد على جنود الهيئة في عدم استعمال العنف والشدة مع أفراد الناس الذين يجلبون للهيئة.
- تشكيل فرعين بمكة: فرع في حارة المعلا وآخر في حارة الباب. (٨٤)

فكانت عمارة البيت وعمارة مكة عمارة للمبنى وعمارة للناس في معاشهم ودينهم. وقد حدثت عدة توسعات للمسجد الحرام:

أولاً: توسعة المسجد الحرام قبل العهد السعودي:

كانت التوسعة الأولى للمسجد الحرام في العام السابع عشر من الهجرة النبوية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، بعد أن أفسد سيل "أم نهشل" مباني المسجد الحرام.

وكانت التوسعة الثانية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ في سنة ست وعشرين هجرية، والتوسعة الثالثة كانت في عهد عبد الله بن الزبير ﷺ بعد الحريق الذي شب بالكعبة بعد حصار يزيد لمكة.

أما التوسعة الرابعة فكانت في عهد الخليفة العباسي المهدي وقد تمت على مرحلتين الأولى مئة وستون للهجرة والثانية مئة وأربعة وستون وبعد ذلك بأكثر من مائة عام تمت التوسعة الخامسة في عهد المعتضد بالله العباسي عام مئتين وواحد وثمانين للهجرة، ثم كانت التوسعة السادسة في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله عام ثلاثمائة وستة للهجرة. [٨٥]

ثانيًا: توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي:

لم يقم حاكم أو غيره بأي توسعة للمسجد الحرام منذ سنة ثلاثمائة وست للهجرة أي منذ عشرة قرون على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وكانت التوسعة الأولى بعد تأسيس المملكة في عهد الملك سعود عام ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين وتبعتها توسعة ثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وسبعين.

ثم كانت التوسعة الثالثة في عهد الملك فيصل وقد أصبحت عمارة المسجد الحرام مئة وثلاثة وتسعين ألف متر مربع بعد أن كانت تسعة وعشرين ألفاً ومائة وسبعة

وعشرين متراً مربعاً، ثم كانت التوسعة الكبرى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك **فهد بن عبد العزيز** حيث قام بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام في شهر صفر عام ألف وأربعمائة وتسعة للهجرة، وتضمنت التوسعة إضافة جزء جديد على المبنى الحالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير، بين باب العمرة وباب الملك.

وتبلغ مساحة أدوار مبنى التوسعة ستة وسبعين ألف متر مربع موزعة على الدور الأرضي، والدور الأول، والقبو والسطح، وتتسع لحوالي مئة واثنين وخمسين ألف مصلٍ.

ويشمل المشروع تجهيز الساحات الخارجية، ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ خمسة وثمانين ألفاً وثمانمائة متر مربع تكفى لاستيعاب مائة وتسعين ألف مصلٍ.

وتصبح بذلك مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته، والسطح وكامل الساحات ثلاثمائة وستة وخمسين ألف متر مربع تتسع لحوالي سبعمائة وثلاثة وسبعين ألف مصلٍ في الأيام العادية، أما في أوقات الحج والعمرة وشهر رمضان فيزداد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصلٍ.

كما يضم مبنى التوسعة مدخلا رئيسًا جديدًا، وثمانية عشر مدخلاً عاديًا، بالإضافة إلى مداخل المسجد الحرام الحالية، البالغ عددها ثلاثة مداخل رئيسة، وسبعة وعشرين مدخلاً عاديًا، وقد روعي في التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو، إضافة إلى المداخل الأربعة الحالية.

ويتضمن مبنى التوسعة أيضًا مئذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانين مترًا، تتشابهان في تصميمهما المعماري مع المآذن البالغ عددها سبع مآذن.

ولتسهيل وصول أفواج المصلين إلى سطح التوسعة في المواسم تم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة:

أحدهما : في شمال مبنى التوسعة ، والآخر في جنوبه ، ومساحة كل منهما ثلاثمائة وخمسة وسبعون متراً مربعاً ، ويحتوى على مجموعة من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبي المدخل الرئيسي للتوسعة.

وقد صممت السلالم المتحركة بحيث تستطيع بالإضافة إلى وحدات الدرج الثابت الثماني خدمة حركة الحجاج والمصلين في أوقات الذروة ، لاسيما كبار السن منهم دون عناء ، وبذلك يصبح إجمالي عدد مباني السلالم المتحركة ٧سلالم ، تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة رواد الدور الأول والسطح ، ويبلغ عدد الأعمدة لكل طابق بالتوسعة أربعمائة واثنين وتسعين عمودًا مكسوة جميعها بالرخام. (٨٦)

جهود المملكة في تعمير المشاعر المقدسة وتطويرها

إن جهود المملكة في تعمير المشاعر المقدسة وتطويرها لم تنقطع منذ تأسيس المملكة حتى وقتنا هذا . وقد نفذت المشروعات في منى ، والمشاعر المقدسة ، والطرق الدائرية وتكلفت أكثر من سبعة مليارات ريال سعودي ، وبالإضافة إلى توسعة مساجد المواقيت والمساجد الكبرى في نمرة والخيف ، والمشعر الحرام ، ومسجد التنعيم ، وميقات الجعرانة ، وميقات ذي الحليفة.

وفي مشعر منى سُوِّيت وهُذِّبت سفوح الجبال؛ لزيادة المساحة المنبسطة بالمنطقة الشرعية لمِنى ، وأضيف أكثر من مليون متر مربع من الأراضي المنبسطة ؛ حتى تتسع للعدد المتزايد من الحجاج.

وتم تسوية وتهذيب مسطح عرفات وتشجيره ، وتم بناء الطرق والجسور والأنفاق التي تمتد عبر الجبال ؛ لتسهيل حركة السير وتنقلات ضيوف الرحمن.

وتم بناء محطة ضخمة لتحلية مياه البحر تنتج أكثر من خمسين مليون جالون من المياه العذبة يوميًا ، وتصل هذه المياه عبر شبكة واسعة للمياه ، وأنشئت خزانات ضخمة تغطى كل المشاعر المقدسة ، وأنشأ خادم الحرمين الشريفين مبرة لتوزيع المياه المبَّردة

على نفقته في عبوات بلاستيكية هدية لضيوف الرحمن.

وتم إنتاج الطاقة الكهربائية التي تكفي المشاعر المقدسة.

وتم إنشاء أكثر من أربعة عشر ألف وحدة من دورات المياه.

أمَّا إنجازات مشروع منى فتتمثل في إنشاء شارع الملك عبد العزيز، وطريق الملك فهد وطريق مكة الدائري (جسر الملك فيصل)، وطريق الملك عبد العزيز، وشارع الملك خالد طريق جنوب العزيزية، وطريق المشاة، يبدأ من بداية منى من جهة مزدلفة إلى المسجد الحرام بطول حوالي سبعة كيلومترات، منها ثلاثة كيلومترات داخل منى وأربع كيلومترات هي المسافة بين جسر الجمرات والمسجد الحرام، ويرتبط بالجمرات طريق آخر للمشاة، لخدمة المنطقة الشمالية لوادي منى، وكذلك منطقة الشعيبين من الشمالية ومنطقة المعيصم، ويبلغ طوله ألفين وأربعمائة متر، وبعرض ثلاثين مترًا وبه ستة أنفاق، ثلاثة في كل اتجاه، وبلغت تكلفة المشروع بأنفاقه وجسوره وتظليله وإنارته ودورات المياه ثلاثة آلاف ومئة وأربعة وتسعين مليون ريال، وتسوية منى، أي تسوية وادي منى ومنطقة الشعيبين بفصل مناطق التخييم عن الطرق بواسطة حواجز خرسانية بحيث ترتفع أماكن التخييم عن الطريق بثلاثين سم مع إنشاء جدران استنادية في المناطق التي بها ميول حادة، وخصصت عند الزوايا أماكن خاصة لوضع النفايات ومآخذ مياه الحريق ومياه الشرب، وتمت تسوية حوالي مليوني متر مسطح، بتكاليف تبلغ حوالي تسعين مليون ريال، وتمت تسوية مواقف المعيصم بمساحة مقدارها حوالي ربع مليون متر مسطح مع الإنارة ؛ بلغت تكاليفها سبعة عشر مليون ريال سعودي، وتم ترحيل شارع الملك فيصل ابتداء من جسر الملك خالد مرورًا بالقرب من مسجد الخيف عبر السفح الجنوبي المطل على الجمرات، بهدف إبعاد المركبات والسيارات عن المنطقة المحيطة بجسر الجمرات، وإفساح هذه المنطقة للمشاة ومرور سيارات الخدمة العامة والدفاع المدني، بلغت التكاليف سبعة وعشرين مليون ريال.

كما تم إنشاء أنفاق باب الملك لتأمين الوصول السريع المباشر للحرم (المسجد الحرام) والعودة منه عن طريق أنفاق تخترق الجبال المحيطة بالحرم.

وهذه الأنفاق منها: ما هو مخصص لعبور المشاة والمركبات، ومنها المخصص للخدمات والمرور في الحالات الطارئة؛ وقد بلغت التكاليف سبعمائة مليون ريال، كما تم عمل خزان التجميع بالمعيصم يتسع لمليون متر مكعب من الماء؛ بلغت تكاليف إنشاء هذا الخزان مئتين وأربعة وستين مليون ريال، وتم أيضًا عمل خزان التجميع الثاني على شكل مستطيل بطول ثلاثمائة وخمسين مترًا، وعرض مئة وخمسين متراً يستوعب ستمائة ألف متر مكعب من المياه بلغت تكاليف الخزان مئة وثلاثين مليون ريال، كما تم إنشاء أربع خزانات معدنية دائرية بسعة إجمالية مقدارها مئتين وعشرة آلاف متر مكعب وتم ربطها ببعض، بالإضافة إلى ربطها بشبكة مياه عين زبيدة، وبلغت تكاليف الخزانات مئة واثنين مليون ريال سعودي ؛ كما تم إنشاء أربعة عشر ومئتي دورة مياه موزعة على جميع مناطق مشعر منى بتكلفة بلغت مئة وأربعة ملايين ريال سعودي؛ وكذلك تم تنفيذ شبكة مياه نهائية بمنى بالإضافة إلى إنشاء ستة خزانات معدنية بسعة عشرين ألف متر مكعب، بلغت تكاليف شبكة المياه حوالي خمسين مليون ريال.

وتم إنشاء المجزرة النموذجية بالمعيصم لتتم الاستفادة منها في مشروع المملكة للإفادة من لحوم الهدي والأضاحي، وتبلغ طاقة هذه المجزرة حوالي نصف مليون ذبيحة من الأغنام، بلغت تكاليف إنشائها حوالي مئة وخمسين مليون ريال، وهناك ثلاث مجازر جديدة بالمشاعر المقدسة للاستفادة منها في هذا المشروع، كما تم تحويل المجزرة البديلة اليدوية إلى مجزرة آلية لذبح الأبقار والجمال، وتبلغ طاقة هذه المجزرة عشرة آلاف رأس من الإبل والبقر ، وبلغت تكاليف هذا المشروع أكثر من ثلاثة عشر مليون ريال.

وتم إنشاء شبكة كهرباء تغطى منى بأكملها، وكذلك مداخلها حيث أقيمت الأبراج الكهربائية والأعمدة، وبلغت التكاليف حوالي مائة مليون ريال.

وأنشئ مركز للتحكم الآلي والمراقبة التليفزيونية بمنطقة العزيزية لتمكن الجهات المعنية من تنظيم الحركة والتحكم فيها، ومراقبة حركة السير داخل الأنفاق تليفزيونيًا، وبلغت التكاليف تسعة ملايين ريال، ولتوسيع الطرقات في منى وحول الجمرات وإيجاد مساحات كافية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من ضيوف الرحمن بلغت التكاليف مئتي مليون ريال، كما تم إنشاء شبكة صرف صحي بأقطار مختلفة، وصل طولها إلى ألف وثمنمائة كم، وتمت إقامة أحواض تنقية بلغت تكاليفها حوالي مئة وواحد وخمسين مليون ريال، وتمت توسعة جسر الجمرات.(٨٧) .

وبهذا يتأكد دور المملكة العربية السعودية في خدمة ضيوف الرحمن، وتأمين الرعاية المتكاملة لهم من مياه صحية، ودورات مياه، وكهرباء، وطرق، وساحات للوقوف والتجمع ومخيمات للمبيت، إلى جانب الأمن والرعاية الصحية وسبل المعيشة والراحة، وهو دور عظيم تقوم به الدولة السعودية وولاة أمرها بغية نيل رضا الله والفوز بجنته.

الخاتمة :

تُخصَّصُ الخاتمة للإشارة إلى أن عظمة الكعبة وتشريفها أمر مستقر في قلوب الناس كما يدل التعبير بمدحها بقوله : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ (المائدة : ٩٧) وأنها في غاية العظمة والاحترام لقوله "الحرام" حيث جعلها الحرام عينه.

إنَّ للكعبة سراً عظيماً في استقامة دين الناس، فهي قبلتهم في الصلاة، ومهوى أفئدتهم للحج والعمرة، وزيارتها تزيد الإيمان، وغير ذلك من أمور محسوسة في العالم، حتى عد الأجانب مراكز الإسلام الحساسة المؤثرة ثلاثة: القرآن، والرسول، والكعبة.

وحسبنا في فضل الكعبة ما جعل الله فيها من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة، وأنه جعل المناسك لمحو الخطيئات ورفع الدرجات، وكثرة الكرامات.

إنَّ للكعبة سراً عظيماً في استقامة أمور الناس الدنيوية وأمنهم وانتظام معاشهم، فهي نموذج بحرمها الآمن تتوجه إليه أنظار العالم باعتبار حرمها مثال الأمن حتى للحيوان والوحش، ومهما قلدوا أمْنَ الحرم فلن يجدوا له مثيلاً، وقد كان العرب يتقاتلون أشد القتال ويشنون الغارات الشعواء وتثور بينهم الثارات إلا في الحرم، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه في الحرم لا يتعرض له بشيء. كما أن الحرم أصبح بذلك مركزاً تجارياً يوفر لسكانه حاجاتهم على اختلافها، ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص: ٥٧) وبكثرة المسلمين واتصال العالم أصبح الحرم الشريف يدعم اقتصاد العالم بحركة التجارة التي فيه طوال العام وخصوصاً في موسم الحج.[٨٨]

وواجب المسلمين نحو مكة المشرفة، ذلك الواجب الذي يتمثل في حب البلد الأمين، وزيارته، والحج إليه، وعقد المؤتمرات الإسلامية به، وصونه، والحفاظ عليه،والدفاع عنه، فهو قلب الأمة الإسلامية النابض، وبه بيت الله الحرام، والكعبة الشريفة، وهو بلد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو أطهر بقعة على وجه الأرض، والقبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلواتهم، ولهذا كان رمز وحدة المسلمين، وكان أكبر موضع يغيظ أعداءهم، الأمر الذي يدعو المسلمين جميعًا إلى الإعلان في كل وقت عن مكانة مكة ومنزلتها عند كل مسلم بل عند كل المؤمنين الموحدين بالله.

وهو إعلان يستوجب اليقين بأن المساس بمكة مساس بكل مسلم، وأن الدفاع عنها فرض عين، والموت في سبيله شهادة، وأن حبه والحرص عليه وتشريفه واجب على كل الموحدين.

واختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ألفين وخمسة للميلاد دليل على مكانة مكة في قلوب المسلمين جميعاً، وتقديراً لمن يقوم على خدمتها ورعايتها، فهنيئاً للمملكة العربية السعودية هذا التشريف وهذه الريادة والسيادة.

اللهم إن هذا البلد بلدك، والحرم حرمك، والكعبة كعبتك وإليها يتجه عبادك الموحدين بك حاجين ومعتمرين، وإليها يتجهون في صلاتهم وتتعلق بها قلوبهم وأرواحهم، وتشتاق إليها النفوس والأبدان، اللهم فلا تحرمهم زيارتها، واحفظها من كل سوء، ومن كل شر وردَّ عنهما كيد الكائدين أعداء الأمة والدين، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والصلاة والسلام على رسول الأمة أجمعين.

الهوامش :

١. سورة آل عمران . الآيتان ٩٦ ، ٩٧.
٢. هي سوق مكة القديم ، كان بفناء دار أم هاني بنت أبي طالب التي عند الخياطين ، فدخلت في المسجد الحرام. انظر: أخبار مكة للأزرقي ٢٩٤/٢.
٣. سنن الترمذي ٧٢٢/٥ ، وسنن أبن ماجة ١٠٣٧/٢ ، ومسند أحمد ٣٠٥/٤ ، وسنن الدارامي ١٥٦/٢ ، والمعرفة والتاريخ ٢٤٤/١- ٢٤٥.
٤. سورة آل عمران آية ٩٧.
٥. رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان ، باب قوله النبي "بني الإسلام على خمس" ص٦.
٦. موقع مكتبة الصور المكية " http://makkawi.com ".
٧. ملامح من تاريخ مكة المكرمة لهاني ماجد فيروزي ، ص٥٠ ، وتاريخ مكة لأحمد السباعي ٢١/١.
٨. ملامح من تاريخ مكة المكرمة لهاني ماجد فيروزي ص٥٢ وما بعدها.
٩. سورة البقرة آية ١٤٣.
١٠. سورة البقرة . آية ١٤٤.
١١. سورة آل عمران آية ٩٦.
١٢. شعب الإيمان للبيهقي ٤٣٢/٣.
١٣. الدر المنثور للسيوطي ١١٥/١ ، والمناوي في فيض القدير (حرف السين)٣/٦.
١٤. جامع البيان للطبري ٨/٤.
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٤/٣.
١٦. البداية والنهاية ١٦٣/١.
١٧. المصدر نفسه ٢٩٨/٢.
١٨. سورة ا لبقرة ، آية ١٢٧.
١٩. انظر: فضائل مكة الواردة في السنة لمحمد عبدالله الغبان ٤٥٦/١- ٤٥٨.
٢٠. سورة الشورى آية ٧ ، وانظر بحث عن إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة لحسين كمال . مجلة البحوث الإسلامية ، المجلد الأول ، العدد الثاني لعام ١٣٩٥هـ ص٧٣٤. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. (سابقاً) — الرياض المملكة العربية السعودية.
٢١. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٧- ٩.

٢٢. سورة الأنبياء آية ٩٢.

٢٣. سورة الحج آية ٢٩.

٢٤. سورة البقرة آية ١٢٥.

٢٥. سورة آل عمران . آية٩٧.

٢٦. سورة آل عمران . آية ٩٦.

٢٧. سورة التين آية ٣.

٢٨. سورة البلد آية ١.

٢٩. سورة إبراهيم آية ٣٧.

٣٠. أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة ٥٧/٢ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ١٠١٢/١.

٣١. أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ١٠١٣/١ ، وابن ماجه ٤٥٠/١ رقم ١٤٠٥ ، وسنن النسائي ٣٥/٢ ، ومصنف بن أبي شيبة ٣٧١/٢.

٣٢. أخرجه أبو داوود الطيالسي في مسنده برقم ١٣٦٧ ، ومسند الإمام أحمد ٣٤٣/٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٤١٤٣ ، وصحيح ابن حبان ٧٢/٣ ، وانظر فتح الباري ٦٤/٣.

٣٣. أخرجه ابن ماجه ٤٥٠/١ برقم ١٤٠٦ ، وأحمد في مسنده ٣٤٣/٣ ، ٣٩٧.

٣٤. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٢٠/١ – الأحاديث الطوال - ، وفي الأوسط عن عبادة ١٦/٣ برقم ٢٣٢٠ ، وعبدالرزاق في مصنفه ١٥/٥ ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب ٩/٢- ١٠.

٣٥. أخبار مكة للأزرقي ٥٠/١.

٣٦. أخبار مكة للأزرقي ٢٢/١ ، والدر المنثور للسيوطي ٢٦٧/٢.

٣٧. أخبار مكة للأزرقي ٢٢/١.

٣٨. أخبار مكة للأزرقي ٣/١ ، والطبراني في الأوسط ١٥/١٠ رقم ٢٩٠٢٩ والمطالب العالية ٣٣٩/٦ ، والدر المنثور للسيوطي ٥٦٨/٢.

٣٩. شعب الإيمان برقم ٣٦٠٨ ورقم ٤١٤٧.

٤٠. شعب الإيمان برقم ٤١٤٤.

٤١. سنن ابن ماجه ٤٥٣/١ برقم ١٤١٣.

٤٢. الترغيب والترهيب للمنذري ٢١٤/٢ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٤/٤.

٤٣. سورة آل عمران ، آية ٩٦.
٤٤. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطيه ٢٢٥/٣ ، تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ٤٧/١.
٤٥. سورة العنكبوت ، آية ٦٧.
٤٦. الجامع لأحكام القرآن ، ٣٦٣/١٣.
٤٧. سورة قريش ، آية ٢.
٤٨. تفسير التحرير والتنوير ٥٥٩/٣٠ وما بعدها.
٤٩. سورة الحج ، آية ٧٨.
٥٠. سورة البقرة ، آية ١٣٠.
٥١. سورة البقرة ، آية ١٢٧.
٥٢. أخرجه الترمذي برقم ٣٩٢٥ ، وابن ماجة برقم ٣١٠٨ والدارمي برقم ٢٥١٣ ، وأحمد في مسنده ٣٠٥/٤ ، والحاكم في مستدركه ٢١٥/٣ ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي برقم ٣٠٨٢.
٥٣. رواه مسلم في صحيحه ١٥٢/١ ، وابن ماجة في سننه ٩٦٥/٢ ، وأحمد في مسنده ٢١٥/١.
٥٤. الحديث رواه البخاري في الصلاة في مسجد مكة ٦/١ والصيد ٢٦ ومسلم في الحج ٤١٥ ، ٥١١ والترمذي في الصلاة ١٢٦ والنسائي في المساجد ١٠ وابن ماجه في الإقامة ١٩٦ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٤ ، ٢٣٨.
٥٥. صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ١٠١٣/١ ، وسنن ابن ماجه ٤٥١/١.
٥٦. إعلام الساجد ص١٢٦- ١٢٨.
٥٧. فضائل مكة للحسن البصري ، ص٦٥.
٥٨. رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان ، باب قوله النبي "بني الإسلام على خمس" ص٦.
٥٩. سورة آل عمران . الآيتان ٩٦ ، ٩٧.
٦٠. سورة البقرة آية ١٩٦.
٦١. الملخص الفقهي ، د. صالح الفوزان. دار العاصمة للنشرة. الرياض ١٤٢٣هـ.
٦٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ، دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن دهيش ٢٧٣/٢.
٦٣. تاريخ مكة ، اعداد جماعة من العلماء ، اشراف الشيخ صفي الرحمن المبارك فوري.
٦٤. الحرم المكي والأعلام المحيطة به ، د. عبدالملك بن دهيش ، ص٥٥.

٦٥. المرجع السابق ص١٦٥ وما بعدها.

٦٦. أخبار مكة للفاكهي ٢٤٦/٤.

٦٧. الأم ، تحقيق أحمد بدر الدين حسون ٤٢٧/٥.

٦٨. حاشة الشيخ محمد حسب الله على كتاب مناسك الحج للشيخ محمد الشربيني ص٧٠.

٦٩. حدود المشاعر المقدسة ، د. عبدالملك بن دهيش ص٧٥- ٨٥.

٧٠. الأم ٤١٥/٥.

٧١. حدود المشاعر المقدسة ، د. عبدالملك بن دهيش ص٧٩ ، ص ١٢٢.

٧٢. سورة آل عمران . الآيتان ٩٦ ، ٩٧.

٧٣. رواه ابن أبي خيثمه . انظر التاريخ الكبير للبخاري رسالة أخبار المكيين منه ص٩١- ٩٢.

٧٤. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، ابن عطية ، أبو محمد عبدالحق ، ٣٥٢/١.

٧٥. صحيح مسلم ، (باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم) ٥٨٦/٢.

٧٦. صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٩٤/٥.

٧٧. صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها ، ٩٨٦/١.

٧٨. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد ٥٣.

٧٩. إعلام الساجد بأحكام المساجد ص١٢٨.

٨٠. سورة الأنعام من آية ١٦٠ وانظر الموسوعة الفقهية ٢٠١/١٧.

٨١. حديث " " من هم بسيئة فلم يعملها ..." أخرجه البخاري (فتح الباري ٣٢٣/١١) ومسلم (١١٨/١) من حديث ابن عباس.

٨٢. سورة الحج آية ٢٥.

٨٣. إعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص١٢٨- ١٢٩.

٨٤. مكة في ثوبها الذهبي للشريف محمد الحسني ص٢٧- ٣٠.

٨٥. إبهاج الحاج ، د. ناصر بن مسفر الزهراني ، ص٢٦٣- ٢٦٥.

٨٦. عن المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين ملخصاً ، وإبهاج الحاج د. ناصر بن مسفر الزهراني ، ص٢٦٥.

٨٧. المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين لطلال محمد نور عطار ، ص٥١ ، ٥٢ ، ٥٤.

٨٨. آيات الأحكام ، نور الدين عتر ، ص٤٢٥.

Makkah Al-Mukarramah : The Importance of its Position, Significance of its Status and Sanctity of its Shrine

Sulaiman S. Al-Qir'awi
Department of Islamic studies, College of Education, King Faisal University
Al-Hassa, Saudi Arabia

Abstract:

For a variety of reasons, it is an imperative for Muslims to study the importance of Makkah. This is due to numerous virtues and the importance endowed on it by God. The wisdom of Almighty God has ordained that Makkah should be a Holy City and that Al-Kaba, which Muslims all over the world face in their prayer, should be built in it.

The purpose of this paper is to present a brief description of the wonders of Makkah in as far as its position and sanctity are concerned. The paper shows the significance of Makkah for all Muslims and its advantages over all other cities. The different stages of building and expanding the Holy Mosque are traced. This provides a thorough description of the relentless efforts of the Kingdom of Saudi Arabia in developing the Holy Mosque in Makkah and all the other holy sites in this city.